يخضرُّ ضلعيَ يا أماهُ

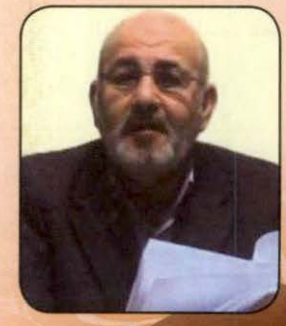

محمود مفلح - فلسطين

أماه أنت الهوى والفل والحبق ... أنت السفينةُ والربان والشفق
مهيضة في مهاوي الريح أجنحتي ... وخطوتي فوق ثلج العمر تنزلق
وها أنا قد قطعت اليوم مجزرة ... من السنين فعمري كله مزق
مدي ذراعك نحوي، جففي عرقي ... إني أكاد بهذا الصيف أختنق!
وسلسلي الماء في جوفي فبي عطش ... من غير كفك لا أروى ولا أثق
ردي الكوابيس عن نومي فإن يدي ... مغلولة وإنائي مابه رمق
وبسملي إن درب الطفل موحشة ... وإن صوتك عندي النور والحدق
أماه رغم مشيبي لم أزل ولداً ... ولايزال على (دشداشتي) الدبق!!
أماه إن أصابعي ملوثة ... وإخوتي كلهم لما رأوا شهقوا
إني برئت فلم أخرق سفينتهم ... هم الذين وقد أبصرتهم خرقوا!!
كم ذا أكلت ولم أشبع لأن يداً ... ليست لأميَ فيها قد وشى الطبق
كل القصائد قد قُصت قوادمها ... إلا قصيدةَ أمي فهي تنطلق
أحن ألقم ثدياً كم شغفت به ... كأنما شدني للحلمة الشبق
تدفق الحب فيه والحليب معاً ... إن أبعدتنيَ كف عنه ألتصق
وكم أُسر إذا ما نام ملء يدي ... وحين يفلت مني يعصف القلق
ولا تزال تعاني الجدب قافيتي ... حتى يُصب عليها ماؤك الغدق
إذا تأخرتِ عني فالضياء دجا ... وإن رجعت سريعاً فالدجا ألق
أماه صاحت ديوك الفجر وانطلقت ... كل الخراف إلى الغدران تستبق
وأشعلت فرنها الطيني جارتنا ... وعندنا حطب للنار أو ورق
أماه أين فطوري إن مدرستي ... حانت وإن سيوف الضوء تُمتشق
أخطو وتتبعني، يا رب كن معه ... وحين تبصرني قد عدت تأتلق
وحين رأسيَ ينأى عن وسادته ... تمد كفا إلى رأسي وترتفق
لا تقلقي لن تضيع اليوم محبرتي ... إني عرفت بدربي كلَّ من سرقوا
لا تقلقي إنني أمشي على مهل ... فوق الرصيف وتمشي خلفي الطرق
يخضر ضلعيَ يا أماه حين أرى ... بدراً كوجهك في الظلماء ينبثق !